**Open Access**
*Al Khadim Research Journal*
*Islamic Culture and Civilization*
ISSN (ONLINE): 2710-0235
ISSN (PRINT): 2710-0227

ARJICC, Vol: 7, Issue: 1,
January to March 2026
DOI: 10.53575/arjicc.u20-v2.2(21)318-330
http://arjicc.com/index.php/arjicc

# منهج التفسير عند الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (دراسة وصفية)

# The Methodology of Qur'anic Exegesis of Imam Muḥammad ibn Ismāʿīl al-Bukhārī: A Descriptive Study

Dr Imrana Shahzadi*
Hafiza Habiba Mughal**

**Abstract**
This study explores Muhammad Bin Ismail Al-Bukhari interpretative techniques, focusing specifically on his identity as an "Arabic Exegete" who mastered the linguistic and grammatical instruments necessary for textual analysis. The paper examines his dual methodology: his strict adherence to traditional transmissions from the Prophet( **Muhammad peace be upon him)**and the Sahaba (رض), seamlessly integrated with his extensive reliance on classical Arabic grammar, lexical derivations (Ishtiqaq), rhetorical devices, and pre-Islamic poetic shawahid (evidences) to resolve textual ambiguities and clarify foreign or rare vocabulary (Gharib al-Qur'an). By analyzing the thematic arrangement, chapter headings (Tarajim al-Abwab), and explicit linguistic references within his work, this paper firmly establishes Imam Al-Bukhari not merely as a traditionalist compiler, but as a pioneering Arabic linguist and exegete whose framework effectively bridged narrative Hadith sciences with analytical Arabic hermeneutics.
**Keywords:** Al-Bukhari, Al-Tafsir, Exegesis, Hadith Methodology, Linguistic Hermeneutics

## المبحث الأول:سيرة الإمام البخاري وشخصيته العلمية والعاملة

يعدُّ الإمام البخاري رضي الله عنه طرازاً فريداً في تاريخ الفكر الإسلامي، وشخصيةً موسوعيةً فذةً تجاوزت حدود التصنيف الحديثي المجرد لتلقي بظلالها المعرفية على شتى العلوم الشرعية، ولا سيما علم التفسير واستنباط المعاني وفقه اللغة. وللوقوف على كنه عبقريته التفسيرية وملامحه المنهجية، لا بد أولاً من دراسة سيرته الذاتية، ومسيرته العلمية، ومقومات شخصيته الأخلاقية والعاملة، ومصنفاته التي أثرت المكتبة الإسلامية، وذلك في المطالب الآتية:

### اسمه، ونسبه:

هو الإمام الحافظ، الحجة الثبت، أمير المؤمنين في الحديث، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَه (وهي لفظة بخارية قديمة تعني الزَّرَّاع أو الفلَّاح، مما يدل على أصالة عائلته في تلك الديار) الجعفي مولاهم، البخاري وطناً ونشأةً**1**. وأما نسبة "الجعفي" إلي القبيلة العربية المعروفة، فسببها أن جده الأعلى "المغيرة" كان مجوسياً على دين قومه، فأسلم على يد والي بخارا "يمان الجعفي" جد الشاعر المعروف، فانتسب إليهم انتساب ولاءِ إسلامٍ، وهو ولاء معروف عند المحدثين والفقهاء ترتبت عليه أحكام ومفاخر علمية.[1] ولد أبو عبدالله محمد بن إسماعبل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري يوم الجمعة، بعد الصلاة، في اليوم الثالث عشر من شهر شوال سنة (194هـ)**2**، في مدينة بخارا العريقة، التي كانت مركزاً من مراكز الإشعاع العلمي والثقافي في بلاد ما وراء النهر.[2]

* Assistant Professor, Government College Women University, Faisalabad.
** M.Phil. Scholar, Department of Arabic, Govt College Women University, Faisalabad.

نشأ الإمام البخاري في محضن علمي خالص وبيئة مفعمة بالتقوى والثراء الحلال؛ إذ كان والده إسماعيل بن إبراهيم من العلماء المبرزين والمحدثين الثقات في عصره، تلمذ على يد إمام دار الهجرة مالك بن أنس، وروى عن حماد بن زيد، وصافح عبد الله بن المبارك، وتلقى العلم عن كبار أئمة الحجاز والعراق.[3] ومما يدل على ورع والده ما نقله المؤرخون عنه عند وفاته حيث قال: «لا أعلم في مالي درهماً من حرام، ولا درهماً من شبهة»**4**، فكان هذا المال الحلال الطيب القوام المعرفي والمادي الذي نبت فيه لحم الإمام البخاري وعظمه.[4]

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 6-7؛ وابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 473.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 392؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، 6/ 221.

(3) الإمام البخاري، التاريخ الكبير، 1/ 343؛ وابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، 2/ 154؛ وابن حبان، الثقات، 8/ 96.

(4) تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 2/ 213؛ وابن حجر، هدي الساري، ص 474.

**نشأته اليتيمة:**

شاءت الأقدار الإلهية أن يتوفى والد الإمام البخاري وهو لا يزال طفلاً صغيراً في مقتبل العمر، فآلت كفالته وتربيته وتوجيهه المعرفي إلى والدته. ولم تكن أمه امرأة عادية، بل كانت من خيار النساء صلاحاً، وعبادةً, وقنوتاً، ومستجابة الدعوة.وقد تعرض الإمام البخاري في طفولته لابتلاء شديد، حيث ذهبت عيناه وأصيب بالعمى وهو صغير، فشق ذلك على والدته مشقة عظيمة، فما كان منها إلا أن لزمت المحراب، وواصلت الليل بالنهار تضرعاً، وبكاءً، ودعاءً لله عز وجل أن يرد على ولدها بصره ليخدم دين الله. ويذكر أصحاب السير والتراجم في هذه الحادثة كرامة مشهورة ظاهرة الدلالة؛ حيث رأت والدة البخاري في منامها الخليل إبراهيم (ع) فقال لها: «يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره بكثرة بكائك، أو كثرة دعائك»، فأصبحت وقد رد الله سبحانه وتعالى عليه بصره كاملاً حاداً كأحسن ما يكون.[1]

دفعت هذه الأم الصالحة ابنها المبارك بعد هذه الحادثة مباشرة إلى حلقات العلم والقرآن والحديث في مدينته، وتابعت مسيرته بكل حرص وعناية، وهيأت له كل أسباب التفوق**1**المعرفي والمادي من حر مال والده الحلال.[2]

**صفاته السلوكية:**

لم يكن الإمام البخاري سابحاً في بحور العلم النظري فحسب, بل كان نموذجاً حياً للعالم العامل بعلمه، المترسم خطى السلف الصالح في الزهد، والورع، والأخلاق، والجهاد. ويمكن بسط صفاته العاملة في النقاط الاستقصائية الآتية:

**الورع والتحري:**

ورث البخاري عن أبيه مالاً وفيراً، فكان يشغله في المضاربة والتجارة، ولكنه كان شديد التورع في المكاسب. وكان ربما يترك الأرباح الطائلة الشريفة لمجرد شبهة لفظية أو تردد في عقد.[3]كان ينفق عامة أمواله في الصدقات، ومواساة المحتاجين من طلاب العلم والمحدثين، وتجهيز الغزاة في سبيل الله، حتى إنه كان ربما يعيش على القليل جداً من القوت (كاللوامس والعشب) بسبب كثرة جوده وإيثاره.[4]

(1) غياث الدين ابن غانم، مختصر تاريخ دمشق، 22/ 74؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 393؛ وابن حجر العسقلاني، هدي الساري، ص 474. (وقد ذكروا قصة الرؤيا والشفاء مستفيضة).

(2) ينظر: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 2/ 214؛ وابن حجر، هدي الساري، ص 475.

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 12؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 411. (وينظر فيها تفصيل قصته مع الشركاء وتركه للمكاسب تحرزاً).

(4) ينظر في زهده وإنفاقه وقوته: أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 24/ 455؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، 6/ 143

**حفظ اللسان:**

تميز الإمام البخاري بأدب رفيع وسكينة نفس نادرة عند جرح الرواة وتعديلهم. وهو صاحب المقالة الشهيرة التي تعكس عمق ورعه وخوفه من حقوق العباد: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً». ولذلك نجد في مصنفاته النقديّة كـ "التاريخ الكبير" أنه إذا أراد جرح راوٍ ساقط الحديث جداً، لا يقول عنه "كذاب" أو "وضاع" إلا نادراً، بل كان يقتصر على عبارات مهزبة مثل: «فيه نظر»، أو «سكتوا عنه»، أو «منكر الحديث»، وهي عبارات تعد عند جهابذة الفن من أشد أنواع الجرح ولكنها في غاية الأدب والورع.[1]

كان الإمام البخاري يجمع بين صيام النهار وقيام الليل. وكان إذا دخل في رمضان المبارك يجتمع إليه أصحابه، فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكان يقرأ في السحر بثلث القرآن، فيختم القرآن في كل ثلاث ليالٍ ختومة في السحر، بالإضافة إلى ختمة كاملة في النهار في كل يوم عند الإفطار، ويقول: «عند كل ختمة دعوة مستجابة». ومما يروى في شدة استغراقه في الصلاة أنه كان يصلي ذات ليلة، فلدغه الزنبور سبع عشرة مرة وهو مستمر في صلاته خاشعاً لم يقطعها، فلما فرغ قال: «انظروا ما هذا الذي آذاني في صلاتي؟».[2]

**الشجاعة والفروسية:**

كان رضي الله عنه قوي البنية، يخرج إلى الرمي وممارسة الفروسية بانتظام، وكان لا يكاد يخطئ الهدف في الرمي بالسهام، مما يبين حرصه على إعداد القوة البدنية بجانب القوة العلمية المعرفية.[3]

**شيوخه الأعلام:**

بدأ الإمام البخاري طلب الحديث واستماعه وعمره عشر سنين أو أقل، ولما طعن في ست عشرة سنة كان قد حفظ كتب ابن المبارك ووكيع بن الجراح، وعمَّق نظره في فقه أصحاب الرأي. وفي سنة مائتين وعشر للهجرة (210هـ)،[4]

ا(1) ينظر في ورعه في الجرح ومقولته في الغيبة: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 439، 441؛ وابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 485.

(2) ينظر في عبادته وختمه للقرآن وقصة الزنبور: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 12-13؛ وتاج الدين السبكي،

طبقات الشافعية الكبرى، 2/ 215-216.

(3) ينظر في رميه بالسهام وفروسيته: أبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 24/ 456؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، 6/ 142.

(4) ينظر في بداية طلبه وحفظه لكتب ابن المبارك ووكيع ورحلته إلى مكة: ابن حجر، هدي الساري، ص 475؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 393-394.

خرج للحج مع والدته وأخيه أحمد، فلما قضوا مناسك الحج، رجعت أمه وأخوه إلى بخارا، وتخلف هو مجاوراً لطلب الحديث في مكة والمدينة، وصنف في مدينة الرسول ﷺ كتابه "التاريخ الكبير" عند ضريح سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في الليالي المقمرة.[1] من الحجاز، انطلقت رحلاته المعرفية الاستكشافية الطويلة التي طافت بأرجاء العالم الإسلامي، فكتب عن أكثر من ألف وواحد وثمانين (1081) شيخاً من أهل العلم والحديث. ودخل كبار الحواضر والبلدان مرات عديدة؛ دخل بغداد ثماني مرات، وأقام بالحجاز ست سنين، ودخل الكوفة والبصرة، والشام، ومصر، والجزيرة، ونشابور. يقول البخاري عن سعة رحلته: «دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ست سنين، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع المحدثين».[2] وأما طبقات شيوخه وأبرزهم:

**شيوخ الامام البخاري:**

1.**الطبقة الأولى:** التابعون لتابعي التابعين، مثل: محمد بن عبد الله الأنصاري، ومكي بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، وهم الذين روى عنهم "الثلاثيات" (الأحاديث التي بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها ثلاثة رواة فقط، وهي أعلى الأسانيد عنده).

**2.الطبقة الثانية:**أئمة الفقه والحديث والحفظ في عصره، ومن أبرزهم على الإطلاق: **الإمام أحمد بن حنبل** إمام أهل السنة والجماعة، الذي كان يجل البخاري ويعرف قدره **الإمام يحيى بن معين** جبل الجرح والتعديل وإمام نقد الرجال **الإمام علي بن المديني** إمام علل الحديث، وهو الذي قال عنه البخاري كلمته الشهيرة:

«ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني» **الإمام إسحاق بن راهويه** عالم خراسان وفقيهها الكبير، وهو الشيخ الذي التقط البخاري من فمه إشارة تصنيف الصحيح حين قال في مجلسه: «لو جمعتم كتاباً مختصراً لصحيح سنة رسول الله ﷺ».[3]

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 7؛ وابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 475. (وفيهما تفصيل تصنيف التاريخ الكبير في الليالي المقمرة).

(2) ينظر في عدد شيوخه وتفصيل البلدان التي رحل إليها مقولته المذكورة: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 395؛ وأبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، 24/ 442.

(3) ينظر في طبقات شيوخه ومقولته في ابن المديني وقصة إسحاق بن راهويه: ابن حجر، هدي الساري، ص 475، 479؛

والذهبي، تاريخ الإسلام، 6/ 141؛ والتاج السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 2/ 216.

**تلاميذه الامام البخارى:**

أضحى الإمام البخاري بعد رحلاته الطويلة قبلة لطلاب العلم والمحدثين في شتى بقاع الأرض، وصارت حلقاته العلمية تجمع الآلاف من المستمعين والمستملين. وقد نقل المؤرخون أنه روى كتاب "الجامع الصحيح" عن الإمام البخاري سماعاً ومباشرة ما يقارب تسعين ألف (90,000) تلميذ، تفرقوا في الأمصار ونشروا علمه وفقهه.[1]

**تلامذته**

1.**الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت 261هـ)**: صاحب "الصحيح"، وكان شديد التعلق بشيخه البخاري، يعترف بفضله وإمامته، وهو الذي جاء إلى البخاري وقبل بين عينيه وقال مقالته التبجيلية الخالدة: «دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله».[2]

2.**الإمام أبو عيسى الترمذي (ت 279هـ)**:صاحب "الجامع والعلل"، وتأثر بالبخاري تأثراً عميقاً في فقه الحديث والنقد اللغوي، وعامّة فقه الترمذي في جامعه مستمد من اختيارات البخاري المعرفية.

3.**الإمام أبو عبد الرحمن النسائي (ت 303هـ)**:صاحب السنان الكبرى والصغرى، والإمام الناقد المعروف.[3]

4.**الإمام ابن خزيمة (ت 311هـ)**: الملقب بـ "إمام الأئمة" صاحب الصحيح المشهور.

5. **لفربري**:(وهو الراوية الرئيسي الذي نقل لنا نسخة الصحيح الشريفة).[4]

**امصنفاته وآثاره العلمية:**

ترك الإمام البخاري للمكتبة الإسلامية ثروة معرفية هائلة، لم تقتصر على جمع الحديث، بل شملت فقه الرجال، والعلل، والعقيدة، والأخلاق، والتفسير. ومن أهم مصنفاته:

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 11؛ وابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 491. (وفيهما ذكر عدد من سمعوا الصحيح منه مباشرة).

(2) ينظر في قصة الإمام مسلم ومقالته التبجيلية: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 13/ 102؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 432-433.

(3) ينظر في تلمذة الترمذي والنسائي وابن خزيمة للبخاري وتأثرهم به: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 13/ 271، 14/ 127؛ وأبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، 24/ 444.

(4) ينظر في ترجمة الفربري وضبط روايته للصحيح: ابن نقطة، التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، 1/ 123؛ والحافظ الذهبي، تاريخ الإسلام، 7/ 419.

**امصنفاته وآثاره العلمية:**

ترك الإمام البخاري للمكتبة الإسلامية ثروة معرفية هائلة، لم تقتصر على جمع الحديث، بل شملت فقه الرجال، والعلل،

والعقيدة، والأخلاق، والتفسير. ومن أهم مصنفاته:

1. **الجامع المسند الصحيح المختصر** من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): وهو أعظم مصنفاته، وأصح كتاب بعد كتاب الله تعالى بإجماع الأمة.[1]

2. **التاريخ الكبير**: وهو موسوعة كبرى في التراجم والرجال والجرح والتعديل، صنفها وعمره ثماني عشرة سنة، وتعد مرجعاً أساسياً لا غنى عنه لمعرفة علل الأسانيد وتواريخ الرواة.[2]

3. **التاريخ الأوسط والتاريخ الصغير**: مصنفات مختصرة في الرجال بحسب السنين والطبقات.

4. **الأدب المفرد**: كتاب حافل جمع فيه الأحاديث والآثار المتعلقة بالآداب والأخلاق السلوكية والاجتماعية.

5. **خلق أفعال العباد** والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل:

كتاب صنف في علم العقيدة والتوحيد، دافع فيه عن عقيدة السلف الصالح.

6. **كتاب التفسير**:وهو الكتاب الضخم الموضع داخل جامعه الصحيح،

والذي يعتبر المحور الأساسي الذي يدور حوله مقالنا هذا.[3]

**ووفاته**:تعرض الإمام البخاري في أواخر حياته لمحنةٍ شديدة بسبب حسد بعض معاصريه، بعد أن ذاع صيته في نيسابور وبخارى. كما رفض الذهاب إلى قصر أمير بخارى لتدريس أولاده، قائلاً: «لا أذلُّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب السلاطين». فاشتد عليه الأذى، واضطر إلى مغادرة بخارى متوجهاً إلى قرية خرتنك قرب سمرقند، حيث أقام حتى توفي ليلة عيد الفطر سنة 256هـ، عن عمر ناهز اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة أيام، ودُفن هناك.[4]

(1) ينظر في أسماء مصنفاته ومكانة جامعه الصحيح: ابن حجر العسقلاني، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 487-488؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 401.

(2) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 2/ 7؛ وأبو الحجاج المزي، تهذيب الكمال، 24/ 443. (وفيهما ذكر قصة تصنيفه للتاريخ الكبير وعمره ثماني عشرة سنة).

(3) ينظر في منزلة كتاب التفسير من الصحيح واعتناء العلماء به: الحافظ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 153.(4) ينظر في تفصيل محنته مع أمير بخارى، ومغادرته إلى خرتنك ووفاته: تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، 2/ 229-232؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، 12/ 464-467؛ وابن كثير، البداية والنهاية، 11/ 26.

**المبحث الثاني: القيمة المعرفية لكتاب التفسير ومظاهره التطبيقية عند الإمام البخاري**

إن التدقيق المعرفي والاستقراء الحافل لـ "كتاب التفسير" الموضع في الجامع الصحيح للإمام البخاري يبرهن دلالةً قاطعةً على أن الإمام لم يكن مجرد ناقلٍ للروايات أو جامعٍ للأسانيد بصنعة حديثية مجردة، بل كان مفسراً جهبذاً، وصاحب مدرسة متميزة وعميقة الأصالة في التفسير بالمأثور والتفسير اللغوي بأدوات هرمنيوطيقية راقية. وتتجلى القيمة المعرفية والمظاهر التطبيقية لمنهجه التفسيري في المطالب الاستقصائية الآتية:

**منهج الإمام البخاري في تفسيره:**

يعتمد الإمام البخاري في مطلع منهجه على الأصل الأصيل في علوم التفسير، وهو بيان القرآن بالقرآن أولاً، ثم بالسنّة النبوية المشرفة؛ إذ السنّة هي الشارح الأول والمبين لمراد الله تعالى، وتأتي لترسم الحدود الدلالية للنص القرآني؛ تارة ببيان مجمله، وتارة بتخصيص عامّه، وتارة بتوضيح مبهمه.[1]

**تفسير القرآن بالقرآن وبالسنة النبوية:**

ما أورده الإمام البخاري في تفسير سورة الأنعام، عند قوله جل وعلا: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82].

حيث ساق البخاري بسنده المتصل إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فجثوا على الركب فقالوا: يا رسول الله، وأينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس هو كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾».[2]ما أورده في تفسير سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: 187].

(1) ينظر في معالم منهج البخاري في تفسيره وقيمته المعرفية: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 153-154؛ ومحمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون (القاهرة: دار الحديث، 2005م)، 1/ 216-218.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأنعام، باب قوله: ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾، 6/ 64 (حديث رقم 4629).

ساق البخاري بسنده عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال: «إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار».

من خلال هذين المظهرين، يتبين كيف وظف البخاري النص الحديثي المرفوع لرفع اللبس الدلالي والتطبيقي الذي وقع فيه الصحابة؛ ففي المثال الأول نُقل اللفظ من عمومه اللغوي (الوقوع في المعصية) إلى خصوصه المراد شرعاً (الشرك)، وفي المثال الثاني نُقل اللفظ من دلالته المادية الحقيقية (الخيوط الحقيقية) إلى دلالته المجازية البلاغية (الفجر والليل)، فكان هذا الربط من أوجه التوجيه التفسيري بالمأثور.[1]

قال البخاري في كتاب التفسير: «باب قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾»، وساق تحتها حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله».[2]

في تفسير سورة المائدة، ترجم البخاري بقوله: «باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾»، وساق تحتها حديث ابن مسعود في النهي عن التبتل والاخصاء اعتراضاً على مشاق العبادة البدنية الجافة.[3]

البخاري هنا يوجه الباحث عبر عنوان الباب وجدولة النصوص تحته إلى استنباط حكم تشريعي عملي؛ وهو أن التشريع والتحريم حق خالص لله تعالى، وأن التدين لا يكون بإنقاص الجسد أو تحريم الطيبات، فجعل الترجمة بحد ذاتها متناً تفسيرياً تشريعياً مستقلاً يعكس عمق فقهه الافتراضي والواقعي.[4]

(1) ينظر في توجيه الحديث لغوياً وبلاغياً: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 155-156؛ وبدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، 18/ 194.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قول الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾، 6/ 34 (حديث رقم 4522).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة المائدة، باب قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾، 6/ 54 (حديث رقم 4615).

(4) ينظر في فقه تراجم البخاري التفسيرية واستنباطاته الفقهية: ولي الله الدهلوي، شرح تراجم أبواب صحيح البخاري (حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، 1949م)، ص 4-5؛ وابن حجر، فتح الباري، 8/ 274.

**العناية الفائقة بغريب اللفظ والتحقيق الاشتقاقي والصرفي**

من أخص الخصائص المعرفية التي تميز بها كتاب التفسير عند البخاري هو ميله الشديد إلى "التحقيق اللغوي الفصيح". فهو لا يكتفي بالآثار المسندة، بل يفتتح السور والآيات بنقل التفسيرات اللغوية الشارحة لألفاظ الغريب عن كبار أئمة اللسان والأدب كأبي عبيدة معمر بن المثنى (في كتابه مجاز القرآن)، والفراء، ومجاهد، مبرزاً أصول الاشتقاق والبنية الصرفية للكلمة[1]. **مثل:** في فاتحة تفسير سورة البقرة، يبتدئ البخاري الباب بتوضيح غريب الألفاظ معتمداً على لسان العرب، فيقول: «وقال معمر: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً﴾: الإيقاد والاستيقاد في كلام العرب واحد (أي من باب الترادف اللغوي). وقال غيره: ﴿صَيِّبٌ﴾: المطر، وهو مشتق من صاب يصوب إذا نزل من علو. و﴿خَطِفَ﴾: استلب وسرق بسرعة».[2] **ومثل:** عند تفسير سورة الفجر، يذكر البخاري المعنى البنيوي للكلمات قائلاً: «﴿الْوَتْرُ﴾: الفرد، و﴿الشَّفْعُ﴾: الزوج. ﴿إِذَا يَسْرِ﴾: إذا سار، وهو مشتق من سرى يسري سرايةً، فحُذفت الياء تخفيفاً لمراعاة الفواصل القرآنية». وفي موضع آخر عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَصَاداً خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء: 15]، يقول: «الحصيد: المستأصل، من حصد يحصد حصاداً، وهو على وزن فعيل بمعنى مفعول».[3] يظهر هنا أن البخاري يعامل النص القرآني بأدوات اللغوي المتمكن والناقد الصرفي؛ فهو يدرك أن فهم المعنى المراد يستلزم بالضرورة تفكيك البنية الصرفية للكلمة وإرجاعها إلى جذرها اللغوي الأصيل، والاستشهاد بلسان العرب وأشعارهم لبيان معاني المفردات الغامضة. **مثل في ذكر:** تميز الإمام البخاري بحس بلاغي فذ، مكنه من فهم الأساليب العربية من مجاز، وكناية، واستعارة، وإيجاد التوجيه البلاغي المناسب للآيات التي قد يتوهم البعض فيها التعارض أو التجسيم، وهو في ذلك يثبت الدلالات اللغوية ببراعة تامة. في تفسير سورة القصص، عند قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]. نقل البخاري عن معمر بن المثنى قوله: «إلا وجهه: أي إلا ملكه، وقيل: إلا ما أُريد به وجه الله والدار الآخرة من

الأعمال الصالحة».عند قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: 24]. [4]

(1) ينظر في أثر كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة في تفسير البخاري: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 158؛ ومصطفى السقا (محرر)، تفسير غريب القرآن للإمام البخاري (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1952م)، ص 5-7.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾، 6/ 22. وينظر النص في: أبي عبيدة معمر بن المثنى، مجاز القرآن، تحقيق: فؤاد سزكين (القاهرة: مكتبة الخانجي)، 1/ 32.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الفجر، باب قوله: ﴿والفجر وليال عشر﴾، 6/ 172؛ وسورة الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿حصاداً خامدين﴾، 6/ 94.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة القصص، باب قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾، 6/ 115؛ وسورة الإسراء، باب قوله: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾، 6/ 88. وينظر: بدر الدين العيني، عمدة القاري، 19/ 221.

أورد البخاري في توجيهه اللغوي أن "جناح الذل" استعارة مكنية بليغة تفيد غاية الخضوع والتواضع للوالدين، حيث شبّه الذل بالطائر الذي له جناح يخفضه انقياداً ورحمةً.يكشف هذا المطلب عن وعي البخاري المبكر بالأساليب البلاغية للقرآن الكريم، وعدم جموده على الظواهر اللفظية المعطلة للفهم؛ فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، واللسان العربي يتسع للمجاز والكناية والاستعارة، وهو ما وظفه البخاري لبيان المقاصد الإلهية العليا.[1]

**توظيف القراءات:**

من الملامح التطبيقية البارزة في منهج البخاري التفسيري اعتماده على القراءات القرآنية (سواء كانت متواترة أو من قراءات الآحاد التفسيرية للصحابة) كأداة مرجعية لبيان مراد الله تعالى، وتوضيح الأحكام الفقهية المترتبة عليها

**مثل:**في تفسير سورة الليل، عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [الليل: 3]. ساق البخاري بسنده المتصل إلى علقمة قال: قدمنا الشام فأتانا أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: كيف يقرأ عبد الله (ابن مسعود) هذه الآية؟ فقلت: يقرؤها: «والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى»، فقال أبو الدرداء: وأنا والله هكذا سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها، وهؤلاء يريدونني أن أقرأها "وما خلق" فلا أتابعهم.[2] **ومثل:**عند قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: 23]. وجه البخاري اللفظ بذكر القراءات الواردة فيها، فنقل عن عكرمة وغيره قراءة "هِيتَ لَكَ" بكسر الهاء، وقراءة "هَيْتُ لَكَ" بضم التاء، مبيناً أن اختلاف الحركات البنائية هنا يدور حول معنى التهيؤ والإقبال والدعوة إلى الشيء.[3]ايعامل البخاري اختلاف القراءات معاملة الثراء الدلالي؛ فقراءة الصحابي الكاشفة أو القراءات المتواترة المتعددة لا تنقض بعضها بعضاً، بل تأتي لتفسر اللفظ وتبين وجهه الإعرابي والمفهومي، مما يعزز القيمة النقدية لكتاب التفسير عنده.لقد أجمع شراح الصحيح كالحافظ ابن حجر العسقلاني على قاعدة علمية مشهورة وهي: "فقه البخاري في تراجمه". والتراجم هي عناوين الأبواب؛

حيث لم يكن البخاري يضع عنوان الباب مجرد تكرار للآية، بل كان يفرغ فيه دلالة استنباطية فقهية وتشريعية دقيقة.

(1) ينظر في توجيه البخاري للبلاغة والمجاز في القرآن: الحافظ ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 413؛ وبدر الدين العيني، عمدة القاري، 19/ 223.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الليل، باب قوله: ﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾، 6/ 174 (حديث رقم 4944).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة يوسف، باب قوله: ﴿وقالت هيت لك﴾، 6/ 79 (حديث رقم 4692). وينظر في توجيه معاني القراءات فيها: أبو زكريا الفراء، معاني القرآن (بيروت: دار الكتب العلمية)، 2/ 40.

**السباق واللحاق:**

السياق من أقوى القرائن اللفظية والمعنوية التي تعين المفسر على تحديد المراد من الآية، والإمام البخاري يراعي هذا الجانب بدقة من خلال حشد الآيات المتناسبة في الباب الواحد، ومراعاة سباق الآية ولحاقها لئلا يخرج اللفظ عن مساره المعرفي الطبيعي.[1]

**المظهر التطبيقي والتمثيل:**

عند تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: 22].

لم يقف البخاري عند ظاهر اللفظ اللغوي للدواب (وهو كل ما يدب على الأرض)، بل أردفها في التراجم بالآيات التي تليها وساق آثاراً تبين أن السياق نازل في فئة مخصوصة من منافقي أهل مكة ومنكري النبوة الذين سلبهم الله النفع بنعم السمع والنطق الفكري، فاللحاق السياقي في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ حصر عموم "الدواب" في الكافر الجاحد. يبرهن هذا التطبيق على أن البخاري يتجاوز "النظرة التفكيكية الجزئية" للآيات، ويعتمد بدلاً منها "النظرة السياقية الكلية" التي ترص اللفظ في منظومته البيانية الكاملة، وهي من أعلى علامات النضج المنهجي في التفسير الوصفي التحليلي.[2]

**االنقد المعرفي:**

تتجلى القيمة النقدية لعقلية البخاري التفسيرية في عدم اكتفائه بسرد أقوال المفسرين الأوائل من الصحابة والتابعين، بل كان يقوم بالموازنة بين الروايات المتعارضة ظاهرياً، واختيار القول الأقوى دلالةً والأقرب لسياق الآية ونظمها اللغوي والشرعي.[3]

(1) ينظر في منزلة السياق وأثره في توجيه التفسير عند البخاري: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 311؛ ومحمد جلال شرف، المنهج النقدي في علوم الحديث والتفسير (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية)، ص 88.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الأنفال، باب قوله: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم﴾، 6/ 73 (وينظر فيه تعليقه المنقول عن مجاهد في بيان المراد بالنص).

(3) ينظر في القيمة النقدية لاختيارات البخاري التفسيرية وترجيحاته: ابن حجر، هدي الساري مقدمة فتح الباري، ص 14-16؛ وبدر الدين العيني، عمدة القاري، 18/ 250.

**(الترجيح بالعموم الدلالي):**

عند تفسير قوله تعالى في سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: 68].

ساق البخاري روايتين؛ الأولى عن ابن عباس أنها نزلت في أهل الشرك من أهل مكة الذين قتلوا وزنوا ثم أرادوا الإسلام فسألوا: هل لنا من توبة؟ والرواية الثانية عن عبد الله بن مسعود أن الآية نزلت بياناً لأعظم الذنوب رتبةً وتغليظاً لعقوبة المسلمين. فرجح البخاري بسياقه وهندسته للباب أن الآية عامّة الأحكام، تشمل زجر المشركين وتغليظ العقوبة على المسلمين معاً، جامعاً بين السببية السياقية والعموم اللفظي.[1]

**الترجيح بالفهم الإشاري العالي:**

في تفسير سورة النصر عند قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: 1]، أورد البخاري قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين سأل شيوخ بدر وعمر بن عباس عن الآية، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا، وقال ابن عباس: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له. فرجح البخاري قول ابن عباس ورتب كأعلى درجات الفهم الإشاري العميق للنص.[2]

اهذا المظهر يبين أن البخاري يملك "منهجاً وصفياً تحليلياً ونقدياً"؛ فهو لا يرى التعارض بين روايات أسباب النزول أو أقوال المفسرين بل يوظف الأدوات المعرفية لدمج الآثار تحت قواعد التفسير الكبرى مثل "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"،[3] مما يرفع من القيمة التطبيقية لجامعه التفسيري ويجعله عمدة للباحثين والمحققين.[4]

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة الفرقان، باب قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾، 6/ 107 (حديث رقم 4797، 4798).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة النصر، باب قول الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، 6/ 178 (حديث رقم 4967).

(3) ينظر في إعمال البخاري لقواعد الأصول والترجيح بالعموم الدلالي: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 8/ 493-494؛ وجلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (بيروت: المكتبة العصرية، 2006م)، 1/ 114.

(4) ينظر في القيمة النقدية والمنهجية لتراجم البخاري التفسيرية: بدر الدين العيني، عمدة القاري، 19/ 384؛ وولي الله الدهلوي، شرح تراجم أبواب صحيح البخاري، ص 12.

خَلَصَ هذا البحث الموسوم بـ "منهج التفسير عند الإمام البخاري (دراسة وصفية تحليليّة)" إلى تقديم دراسة منهجية شاملة، تُبَيِّنُ بوضوح أن الإمام البخاري رضي الله عنه لم يكن مجرد ناقلٍ للأثر أو جامعٍ للأسانيد بصنعة حديثية مجردة، بل كان مفسراً كبيراً اعتمد على أدوات نقدية وعلمية راقية؛ وتتجلى أبعاد مدرسته التفسيرية في تحقيقه اللغوي لمعاني الكلمات واشتقاقها

الصرفي، وإعماله للحس البلاغي، وتوظيفه للدلالات المختلفة في القراءات القرآنية، مع مراعاته الدقيقة للسياق العام للآيات لحماية النص من الفهم الجزئي وهو ما يُصيبُ كبد الحقيقة العلمية التي ذكرها الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله: «**إنَّ فِقْهَ البُخَارِيِّ فِي تَرَاجِمِهِ**»؛ إذ لم تكن عناوين أبوابه مجرد تكرارٍ للآيات، بل عناوين استنباطية وموازنات نقدية ترجح بين أقوال السلف وفق قواعد التفسير الكبرى. وبناءً على هذه النتائج، يوصي الباحث بضرورة توجيه دراسات البحث العلمي نحو استخراج القواعد الأصولية والمقاصدية الموجودة في كتاب الجامع الصحيح، تفعيلاً للمناهج الوصفية التحليلية في فهم التراث الإسلامي.

**الهوامش**


1) ابن حجر العسقلانى، احمد بن على- فتح البارى شرح صحيح البخارى- قاهره: المكتبة السلفية-
2) ابن حجر العسقلانى، احمد بن على- هدى السارى مقدمة فتح البارى- قاهره: المكتبة السلفية-
3) ابن كثير القرشى، اسماعيل بن عمر- البداية والنهاية- بيروت: دار الفكر، 1986ء-
4) ابو عبيده، معمر بن المثنى- مجاز القرآن- تحقيق: فواد سزكين- قاهره: مكتبة الخانجى-
5) البخارى، محمد بن اسماعيل- الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخارى)- كتاب التفسير-
6) البخارى، محمد بن اسماعيل- التاريخ الكبير- حيدرآباد دكن: دائرة المعارف العثمانية-
7) الخطيب البغدادى، احمد بن على- تاريخ بغداد- تحقيق: د- بشار عواد معروف- بيروت: دار الغرب الإسلامى، 2002ء-
8) الذهبى، شمس الدين محمد بن احمد- تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام- تحقيق: د- بشار عواد معروف- بيروت: دار الغرب الإسلامى، 2003ء-
9) الذهبى، شمس الدين محمد بن احمد- سير اعلام النبلاء- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985ء-